ثم ان الله تعالى انتقل الى النوع الآخر من دلايل التوحيد فقال وهو الذي مرج البحرين كان الله
يقوي به قلبه عزم على امتثال ما امر به من المجاهدة الكبيرة و اصل المرج الارسال والتخلية يقال
مرجت الدابة اى ارسلتها ترعى وقوله تعالى هذا عذب فرات مفعول قول مضمر تقديره مرج
البحرين مقولا فيهما هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج كما يقال وجدت الناس خبر تقله اى مقولا
فيهم ذلك ويحتمل ان تكون جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب كان قائلا قال كيف مرجهما فقيل
هذا عذب فرات والفرات فعال من فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات اذا كان في غاية العذوبة
ويقال ملح الماء يملح ملوحة فهو ملح وملح على وزن فعل وفعيل وقرئ بهما وقلما يقال مالح
والاجاج الشديد الملوحة الذي يحرق الباطن من ملوحته من اجيج النار اجيجا اذا اشتد حرها
قوله وجعل بينهما برزخا لما كان عطف قوله وحجرا محجورا على قوله برزخا دالا على انه تعالى جعل
كل واحد من البحرين بحيث يتعوذ من الآخر ويقول له حجرا محجورا اى حراما محرما عليك ان تغلب على
وتزيل صفتي وكيفيتي ومن المعلوم ان البحر ليس من شانه ان يتعوذ ويقول قولا حمل الكلام على سبيل
الاستعارة التمثيلية بان يشبه تلاصق كل واحد منهما بالآخر مع كمال التنافر بينهما بعدوين
يتقاربان في المعركة يريد كل واحد منهما ان يبتغي صاحبه ويتعوذ منه فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به
فقيل جعل بينهما هذا الكلام بمعنى جعلهما قائلين لهذا الكلام قوله وقيل حدا محدودا اى وجعل بينهما
حدا لا يتجاوز حكم كل واحد منهما من ذلك الحد وفي الصحاح الحجر ايضا حجر الكعبة وهو ما حواه الحطيم
المدار بالبيت جانب الشمال وكل ما حجرته من حايط فهو حجر قوله وذلك كدجلة يعني ان المراد بالبحر
الماء الكثير الواسع سواء كان عذبا كدجلة والنيل او ملحا فلا يرد ان يقال لا وجود للبحر العذب
فكيف ذكره الله ههنا ثم بين انه تعالى كيف خلا بين البحرين المتنافرين غاية التنافر حال كونهما
متجاورين بحيث لا يتمازجان حتى يحصل موضع التعجب فقال كدجلة يدخل البحر ومن قال المراد بالبحر العذب
النهر العظيم وبالملح الاجاج البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض بين وجه الاستدلال على
قدرة الصانع بان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض او الماء فلا بد من الاستواء وان
لم تكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة معينة ويفصل بين اجزاء الطبيعة
الواحدة بالبرزخ الحايل على حسب مشيئته وارادته مع ان مقتضى طبيعة اجزاء الطبيعة كل عنصر

ان تعالى

٢٠

لن تضامت وتلاصقت قوله وتسلسل اى تلين وتنقاد ذكر في الماء الذي خلق منه البشر ثلث
احتمالات الاول انه الماء الذي خمر به طينة آدم والثاني انه الماء الذي جعل جزءا من مادة كل
بشر بل من مادة كل حيوان كما قال والله خلق كل دابة من ماء والثالث انه النطفة لقوله تعالى
خلق من ماء دافق من ماء مهين قوله اى قسمه قسمين اى ليس المراد انه تعالى جعل البشر الواحد اذا
نسب ينسب اليه الفروع وذات صهر يصاهر بها فانه محال فان الصهر ابو زوج البنت وما كان من قبيل
نوع البنت فهم اصهار يتواصل اليهم بسبب البنات فذوات الصهر اى اللاتي يصاهر بهن ليست الا البنات
بخلاف ذوي نسب اى الذين ينسب اليهم الاولاد فانهم ذكور لان النسب الى الآباء كما قال الشاعر لا تزرين بفتى
من ان يكون له ام من الروم او سوداء دعجاء فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللآباء ابناء
بين الله تعالى قدرته اولا ببيان انه خلق من الماء بشرا واظهر فضله وامتنانه بجعله نسبا وصهرا اما
النسب فبه يتعارفون ويتواصلون فيقال فلان بن فلان ولولا النسب لما تعارفوا ولما تواصلوا واما الصهر
فلانه من اسباب التواصل والتوالد ثم انه تعالى لما شرح دلايل التوحيد عاد الى تهجين سيرة المشركين في
عبادة الاوثان فقال ويعبدون من دون الله الى قوله ظهيرا وهو خبر كان وعلى ربه متعلق به اى كان
الكافر بشركه وعداوته الحق عونا للشيطان على عصيان ربه ليشجعه على الاصرار عليه ويشاركه فيه قوله
والمراد بالكافر الجنس فيحتمل ان يكون المظاهرة التي تقتضي اثنين مظاهرة بعض الكفار بعضا لا مظاهرة
الكافر مع الشيطان ثم انه تعالى لما بين انه ارسل رسوله الى كافة القرى وقصر الامر عليه اجلالا له بين انه على
اي حال ارسله فقال وما ارسلناك الا مبشرا قوله الا فعل من شاء يعني ان الاستثناء متصل على حذف
المضاف اتخاذ السبيل اليه تعالى عبارة عن التقرب اليه تعالى بالايمان والطاعة صور فعل من شاء ان يتقرب اليه
بذلك بصورة الاجر وسماه باسمه تشبيها له بالاجر من حيث كون المقصود من التبليغ الذي نفى توقعه واستثناه
من الاجر لغوا بدا احديها ان يقلع شبهة طمعه في الاجر من اصله كانه قيل ان اعطيتم اياي اجرا فاعطوا
ذلك الفعل فاني لا اسال غيره وثانيها اظهار الشفقة البالغة عليهم بان عد سعيهم لانفسهم ونفعهم لها
بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب عن مخالفته وعصيانه اجرا وافيا مرضيا به وثالثها الاشعار
بانهم كما يثابون على ذلك الفعل بمباشرتهم له يثاب ايضا عليه سبحانه لانه اياهم عليه بحكم ان الدال على
الخير كفاعله وعلى تقدير كون الاستثناء يكون المعنى لا اطلب من اموالكم جعلا لنفسي لكن من شاء انفاقها
منقطعا

Copyright © King Saud University